لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جريدة الصراط العدد السّابع

يوم الاثنين 11 رجب 1352
الموافق لـ 30 أكتوبر 1933

تصدرها الجمعية تحت إشراف رئيسها الأستاذ عبد الحميد بن باديس
ويرأس تحريرها الأستاذان العقبي و الزّاهري

أجوبة وزيرية

عن أسئلة برلمانيّة

كانت جريدة << لا ديبيش ألجريان >> نشرت بعددها الصّادر يوم 15 جوان سنة 1933 أسئلة كتابيّة ألقاها والينا العام سابقا السّيناتور السّيد فيوليت على وزير الدّاخليّة , وعرّبنا ونشرنا نصّها بالعدد 11 من جريدة << السّنّة >> الشّهيدة المرحومة المأسوف عليها .

مرّ على هذه الأسئلة ما يقرب من الخمسة أشهر ولم يحظ مُلقيها بجواب وذلك رغم ما لها من الأهمّيّة الكبرى حتّى كدنا ننساها تماما أو نعتقد أنّ الوزراء أجلّ قدرا وأرفع مقاما من أن يعتنوا بمسائل تخصّ المُسلمين الجزائريين ولو باشرها عضو من أفضل أعضاء البرلمان !

ولمّا طال انتظارنا بغير جدوى سكتنا وصبرنا لأنّنا تعوّدنا السّكوت والصّبر مهما عظُمت المُصيبة وجلّ الخطب ووكلنا أمرنا إلى خالق القوي والضّعيف والوضيع والشّريف والوزير << والبريفي >> سكتنا سكوت اليائس العاجز وصبرنا صبر الضّعيف المغلوب على أمره ولم يبق في ظنّنا أنّ جناب الوزير يتفضّل يوما ما بتضحيّة دقائق من وقته النّفيس ليُجيب << بما أمكن >> أو << بما تيسّر . . . >> عن أسئلة السّيد فيوليت !

وفي صباح هذا اليوم 9 أكتوبر تناولنا كعادتنا جريدة (لا ديبيش ألجريان) المومى إليها فقرأنا فيها جواب حضرة الوزير وإن شئت قلت (أجوبته) عن النّقط التي كانت نشرتها هذه الجريدة في عددها الصّادر يوم 15 جوان ولتتمّ الفائدة ويُحيط القارئ علما بالقضيّة نُدرج الأسئلة بنصّها الذي كان نُشر بجريدة (السّنّة) ثمّ نُدرج الأجوبة بنصّها المنقول عن (لا ديبيش ألجريان) ثمّ نعلّق على هذه الأجوبة بما نراه لائقا ومُناسبا للمقام .

نصّ الأسئلة :

أسئلة برلمانيّة كتابيّة

سأل المسيو موريس فيوليت وزير الدّاخليّة كيف رضي بمُخالفة عامل عمالة الجزائر لقانون فصل الكنائس عن الدّولة بأمره الصّادر يوم 28 فيفري سنة 1933 القاضي بحلّ الجمعيّة الدّينيّة الإسلاميّة بالجزائر والحال أنّ المادة 23 من قانون الفصل لا تعترف بحق حلّ هذه الجمعيّة إلاّ للمحاكم الشّرعيّة ـ وكيف أذن لعامل عمالة الجزائر حسب أمر صادر باليوم المذكور بأن ينتزع من الجمعيّة الدّينيّة بالجزائر حقّ التّصرّف في المساجد والحال أنّ المادّة 13 من قانون فصل الكنائس عن الدّولة يقضي بأنّ هذا الانتزاع لا يكون إلاّ بأمر دولي ـ وأخيرا كيف يسوغ لعامل عمالة كائنا من كان أن يُسمّي من تلقاء نفسه وعلى مُقتضى مشيئته جمعيّة دينيّة عوضا عن الجمعيّة التي أعدمها بخرق سياج القانون وإن ساغ له ذلك فهل يسوغ له حتّى فيما يخصّ الدّيانة الكاثوليكيّة ؟

نصّ الأجوبة

أوّلا ـ إنّ عامل عمالة الجزائر لم يُبطل الجمعيّة الدّينيّة الإسلاميّة الموجودة بعمالتهوإنّما انتزع منها حقّ التّصرّف في الأماكن المُعدّة لإقامة الشّعائر الدّينيّة .

ثانيا ـ إنّ الأماكن المُشار إليها الكائنة بعمالة الجزائر كانت وُضعت تحت تصرّف الجمعيّة الدينيّة لا بمُقتضى الفصل 12 من التّنظيم الإداري العمومي المؤرّخ بسبتمبر 27 سنة 1907 المُتضمّن كيفيّة وشُروط تطبيق قانون فصل الدّين عن الدّولة على القُطر الجزائري بل تنفيذ للمادّة13 من التّنظيم الإداري المذكور المنصوص فيه على (أنّه إذا لم توجد جمعيّات دينيّة ذات أملاك فإنّ حقّ الانتفاع مجّانا بالمساجد ومشاكلها يُمكن إعطائه لجمعيّات دينيّة مُؤسّسة طبق الفصلين 17 و18 من هذا الأمر الدّولي وأنّ إعطاء حقّ الانتفاع بالمساجد بعقد إداري يُحرّره عامل العمالة) وإنّ العقد الإداري الذي حرّره عامل عمالة الجزائر يوم أوّل فيفري سنة 1910 المُحرّر طبق إشارات وزير العدليّة والدّيانات ـ المُسطّرة تلك الإشارات برسالته المُؤرّخة بفيفري 19 سنة 1909 يتضمّن شرطا يقتضي (أنّ العقد الإداري يُمكن ويجوز فسخه إذا حادت الجمعيّة عن الغرض الذي أسّست لأجله أو أعدّت الأماكن الدّينيّة لغير ما كانت مُعدّة له أوّل مرّة) ـ وبحسبه فإنّ عامل العمالة لمّا أبطل العقد الصّادر من سلفه قد طبّق ونفذ الشّرط المُشار إليه الذي خوّله حقّ الفسخ .

ثالثا ـ إنّ عامل الجزائر لم يُصدر أمرا بتأسيس جمعيّة دينيّة جديدة وغاية ما في الأمر أنّه شكّل لجنة استشاريّة بحتة ليس لها من العمل سوى إبداء وإعطاء الآراء ـ إن دعت الحاجة إليها ـ في المسائل التي لها مساس بالدّيانة الإسلاميّة وأنّ هذه اللّجنة لم يُنط بعهدتها أمر التّصرّف في المساجد .

وأخيرا ينبغي التّصريح بأنّ المشاكل النّاتجة عن الاضطراب الذي كان سببا لإصدار الأوامر المُشتكى منها معروضة الآن على نظر الوزير وسيقع حلّها بكلّ ما يلزم من العناية والإنصاف إجابة لِمرغوب السّيناتور المُحترم وتقديرا لاهتمامه بها) .

رأينا في هذه الأجوبة

مُلاحظة عامّة : امتازت الأجوبة الوزيرية بالغموض بقدر ما كانت أسئلة السّيد فيوليت واضحة جليّة فكأنّها كُتبت بإحدى الإدارات التي لا تُحبّ إلاّ الإبهام والإيهام والعمل في طيّ الخفاء وتحت رداء حالك الظّلام .

حقيقة إنّني أشمّ منها رائحة أسلوب حرّرت به كلّ الرّسائل وكلّ الأوامر وكلّ المناشير التي انفجر بها بُركان الانتقام والغضب على جمعيّة العلماء وقادة الحركة الإصلاحيّة بين شهر نفامبر سنة1932 وشهر مارس سنة 1933 . وإذا تأمّلنا في الأجوبة وحلّلنا كلامنا على حدة ألفيناها غير مُقنعة ـ غير سديدة ـ غير مُطابقة للواقع ـ غير مُوافقة للصّواب ـ وهاك البيان :

يقول جناب الوزير : << إنّ عامل الجزائر لم يُبطل الجمعيّة الدّينيّة الإسلاميّة وإنّما انتزع منها حقّ التّصرّف في الأماكن المُعدّة لإقامة الشّعائر الدّينيّة >> ثمّ يقول : << إنّه لم يُصدر أمرا بتأسيس جمعيّة دينيّة جديدة وغاية ما في الأمر أنّه شكّل لجنة استشاريّة بحتة ليس لها من العمل سوى إبداء وإعطاء الآراء ـ إن دعت الحاجة إليها ـ في المسائل التي لها مساس بالدّيانة الإسلاميّة ـ وأنّ هذه اللّجنة لم يُنط بعهدتها أمر التّصرّف في المساجد >> ! . إذن فالسّيد العامل من جهة افتكّ من الجمعيّة جميع ما

لها من النّفوذ والتّصرّف في المساجد وما يلحق بها ـ ومن جهة أخرى شكّل لجنة استشاريّة مُكلّفة بإعطاء آرائها في المسائل المُتعلّقة بالدّيانة الإسلاميّة بحيث هي ـ أي اللّجنة ـ تُعطي الآراء وهو ـ أي العامل ـ يقضي ما يشاء ويفعل ما يشاء وهو وحده الذي يقضي ما يشاء ويفعل ما يشاء في المسائل المُتعلّقة بالدّيانة الإسلاميّة سواء فيما يخصّ المساجد أو المُوظّفين الدّينيين أو غير ذلك ـ ويشهد له جناب الوزير رغم هذا كلّه بأنّه لم يُبطل الجمعيّة الدّينيّة ولم يُنصّب مكانها لجنة أو هيئة أو شخصا للقيام بما كانت قائمة به يلك الجمعيّة ـ المُبطلة في نظرنا ونظر المُنصفين من عباد الله ـ والغير المُبطلة على رأي وُلاّة الأمور .

إن كان هذا لا يُعدّ إبطالا للجمعيّة الدّينيّة واستحواذا عنيفا على كلّ ما كان بيدها من سُلطة ونُفوذ وتصرّف فإنّ القتل لا يُعدّ موتا والرّمي بالرّصاص لا يُسمّى إعداما , قل لي بربّك أيّها القارئ ـ ولا يلزم لهذا أن تكون وزيرا أو عامل عمالة ـ أي معنى يبقى لجمعيّة دينيّة لا تتصرّف في المساجد ولا تتدخّل في تعيين أرباب الوظائف والمناصب الدّينيّة ولا في شيء من مُختلف الشّئون ! نحن لا نجهل أنّ قاموس السّياسة مملوء بالألفاظ التي لها من المعاني المُتناقضة ما يرهب ويدهش غير أنّنا لا نقبل أن نُعامل بما يُعامل به الصّبيان وأن نُخاطب دائما حتّى في أخطر الأمور وأحرج الظّروف بما نعتبره بحقّ مُدافعة ومُغالطة !

نحن آدميون على كلّ حال لنا من العقل ما نُميّز ونُفرّق به بين الحقّ والباطل والخير والشّر والصّدق وضدّه ولا نرضى أبدا أن نُعامل بغير ما يُعامل به الآدميون !

ويقول حضرة الوزير : << إنّ العقد الإداري المُؤرّخ بأوّل فيفري سنة1910 يحتوي على شرط يقتضي أنّ العقد المذكور يجوز فسخه إذا حادت الجمعيّة عن الغرض الذي أسّست لأجله أو أعدّت المساجد لغير ما كانت مُعدّة له أوّل مرّة >> نُسلّم لحضرة الوزير أنّ هذا الشّرط موجود في العقد الإداري لكنّا نستأذنه بإلقاء السّؤال الآتي عليه وعلى السّيد عامل الجزائر : ما هو الغرض الذي أسّست لأجله الجمعيّة وبم حادت الجمعيّة عن الغرض الذي أسّست لأجله ؟ ولم أُعدّت المساجد وبم ثبت أنّ الجمعيّة أعدّتها لغير ما كانت مُعدّة له أوّل مرّة ؟

هل << حادت الجمعيّة عن الغرض الذي أسّست لأجله >> لأنّ رئيسها أذن للعقبي وإخوانه العلماء المُصلحين بتعليم المُؤمنين مبادئ دينهم الصّحيح >> ؟ هل << أعدّت المساجد لغير ما كانت مُعدّة له أوّل مرّة >> لمّا ألقى فيها العقبي دروسا في تفسير كلام الله وحديث رسول الله ؟

إن كان هذا ما يُسمّيه حُكّامنا الكبار تغييرا للغرض الذي أسّست لأجله الجمعيّة وتبديلا لما أعدّت له المساجد يوم أسّست فنحن نكتفي بقولنا : اللهمّ هذا مُنكر ! . . . وعلى فرض أنّ الجمعيّة أخطأت أو أذنبت أو ـ بعبارة قانونيّة ـ خالفت شرطا من شروط العقد الإداري مُخالفة تُجيز أو تُوجب فسخ هذا العقد فهل للعامل وحده حقّ الفسخ وهل يُبيح له القانون أن يكون خصما وحكما وهل يسوغ له أن يحكم بما لا يسوغ الحُكم به إلاّ للمحاكم الشّرعيّة المُنظّمة كما قاله السّيد فيوليت في أحد أسئلته ؟

ننتظر الجواب ولو بعد خمسة أشهر ! . . . وخُلاصة القول أنّنا نأسف جدّ الأسف لما صدر من عامل الجزائر ولما دافع به عنه رئيسه وزير الدّاخليّة لكنّا نتفاءل خيرا بما ختم به جناب الوزير المذكور أجوبته الرّسميّة إذ يقول أنّ المشاكل النّاشئة عن الاضطراب الذي كان سببا لمنع التّدريس الدّيني الحرّ

بالمساجد مطروحة على بساط النّظر وأنّ جنابه ساع في حملها بما يُرضي السّيناتور المُحترم السّيد فيوليت

الآن نقول : آمين

جمعيّة العلماء المسلمين وأوشاب القوم المُفسدين

للغرب الإفريقي ابن عالم بار نسله بنو هلال وأنجبه المغرب الأقصى , هو العلاّمة الأستاذ محمّد تقيّ الدّين الهلالي المدرّس بالهند , لهذا الأستاذ شُهرة علميّة إصلاحيّة عظيمة بالشّرق ومقالات رنّانة في صُحف وهو ـ على بُعده عن الغرب الإفريقي لا يفتر عن العناية به والتّتبع لأحواله والكتابة عنه , وها هو اليوم قد أتحفنا بهذا المقال النّفيس الذي نشرناه فيما يلي , شاكرين لفضيلته عنايته وفضله : ـ2 ـ

المُصلحون والأولياء

اعلموا وفقكم الله لسلوك سواء السّبيل وحفظكم من الوقوع في مهاوي الجهالة أنّ المؤمنين جميعا أولياء الله ومن لم يكن وليّ الله فهو عدوّ الله وقد رأينا كتاب الله جعل النّاس فريقين أولياء الله وأعداء الله وبيّن أوصاف الفريقين لكن ولاية الله تتفاوت تفاوتا عظيما فمن المُسلمين من يكون حظّه منها ضئيلا جدا حتّى يكون ظاهره بأعداء الله أشبه منه بأوليائه وهذا هو الذي يُخاف عليه سوء الخاتمة لانهماكه في المعاصي وجهله بما جاء به كتاب الله وسنّة نبيّه ولقلّة نصيبه من أسباب الولاية التي ذكرها الله في قوله (<< ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتّقون لهم البُشرى في الحياة الدّنيا وفي الآخرة >>) فجعل الله الإيمان والتّقوى شرطا في نيل الولاية والإيمان والتّقوى يتوقفان على معرفة ما يُؤمن به المرء وما لا يُؤمن به وما يتّقيه وما يعمله وقال الإمام ابن عاشر رحمه الله :

وحاصل التّقوى اجتناب وامتثال *** في ظاهر وباطن بذا تُنال

وإنّما يُعرف ذلك بمعرفة الكتاب والسّنّة اللّذين هما موضوع درس المُصلحين وهو جمعيّة العلماء الجزائريين ومن يقتدي بهم من المُصلحين , فمن النّاس من يُوفقه الله إلى العلم والعمل فيزيد إيمانه وتقواه فتكون درجة ولايته عالية عظيمة إلى أن يبلغ إلى الصّدّيقيّة ومنهم من يقلّ إيمانه وتقواه ويستزلّه الشّيطان ويُزيّن له مُعاداة العلماء واتّباع الجهّال فيضلّونه حتّى يبلغ إلى دركة الفسق ويكون نور إيمانه ضعيفا مع اشتداد رياح البدع والأهواء فربّما أدركته عناية سابقة فتاب ورجع إلى الله باتّباع الكتاب والسّنّة والسّلف الصّالح وربّما انطفأ نور إيمانه فمات على سوء الخاتمة عياذا بالله ولِياذا به . وبين الفاسق والصّدّيق درجات كثيرة حسب تفاوت النّاس في الإيمان والتّقوى .

الحكم بالصّدّيقيّة

الصّدّيقيّة هي الولاية الكبرى وهي ممّا أخفاه الله وحرّم على عباده أن يتقدّموا بين يديه فيدّعوا لأنفسهم أو لغيرهم ذلك إلاّ على سبيل الظّنّ والرّجاء فلا بأس أن يقولوا في رجل أنّه صالح ونرجو أن يكون من أهل الولاية الكبرى ولا يجزمون إلاّ إذا أخبر الله ورسوله عن أحد أنّه صدّيق أو من أهل الجنّة فإنّهم يُجزمون بذلك ويُؤمنون . هذه هي عقيدة أهل السّنة وليس الرّقص والجهل والحفلات الكنسية

بسبيل إلى الولاية البتّة والمُصلحون يُحبّون أولياء الله الكاملين ويدعون النّاس إلى اتّباعهم وقد كان الإمام مالك وأصحابه كالشّافعي وأحمد ويحيى وعبد الله بن يوسف وغيرهم من أهل الولاية الكُبرى ولا يُمكن لوليّ من أهل القرون الأخيرة أن يبلغ مبلغهم فهم أولى بالاتّباع لأنّهم من أهل القرون المُفضّلة والمُصلحون يتّبعونهم فهل يتّبعهم أضدادهم فهذا الميزان بين أيديكم أيّها المُنصفون فزنوا واحكموا ولا تتّبعوا الهوى وتشطّوا في الحكم . محمّد تقيّ الدّين الهلالي

هل كان الشّيخ التّجاني << وهّابيا >> ؟ ؟

حقائق من التّاريخ لا يعلمهنّ كثير من النّاس
بقلم الأستاذ الزّاهري العضو الإداري لجمعيّة العلماء المُسلمين الجزائريين

أردت أن أطّلع على الكتاب الذي أرسله الأمير عبد الله بن سعود صاحب الحجاز ونجد إلى المولى سُليمان سُلطان المغرب الأقصى وأردت أن أطّلع أيضا على نصّ جواب السّلطان عن هذا الكتاب , فطلبتهما في مظانهما , والتمستهما في كُتب التّاريخ , فلم أظفر بنصّ الكتاب ولا بنصّ الجواب ولكنّي حصلت على ما أذكر لك خُلاصته فيما يلي :

في سنة 1226 هـ أرسل المولى سُليمان صاحب المغرب الأقصى نجله المولى إبراهيم بجوابه إلى الأمير عبد الله بن سعود صاحب الحجاز ونجد , وكان في معيّة المولى إبراهيم كثير من العلماء والأعيان , فلمّا حجّوا البيت الحرام , وقضوا مناسكهم وزاروا الرّوضة النّبويّة المشرّفة , اجتمعوا بالأمير بن سعود فقابلهم بالحفاوة والبشر , ووجدوه كواحد من النّاس لا يتميّز بزيّ ولا مركوب ولا ملبوس , وتباحثوا معه فقال لهم :إنّ النّاس يزعمون أنّنا مُخالفون للسّنّة المُحمّديّة , فهل رأيتمونا خالفنا السّنّة في شيء , فقال له القاضي إبراهيم الزّداغي وهو من أكبر عُلماء المغرب الأقصى في ذلك العهد : بلغنا أنّكم تقولون بالاستواء الذاتي , فقال ابن سعود : بل نقول كما قال الإمام مالك رحمه الله : الاستواء معلوم , والكيف مجهول , والسّؤال عنه بدعة , فهل في هذا مُخالفة ؟ قالوا : لا , ونحن أيضا نقول بمثل هذا , ثمّ قال القاضي : وبلغنا أنّكم تقولون بعدم حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في قبره , فلمّا سمع ابن سعود ذكر النّبيّ رفع صوته بالصّلاة عليه وقال : إنّما نقول أنّه صلّى الله عليه وسلّم حيّ في قبره حياة فوق حياة الشّهداء , وقال القاضي : وبلغنا أنّكم تمنعون زيارته صلّى الله عليه وسلّم وزيارة سائر الأموات , وهي ثابتة في الصّحاح . فقال الأمير ابن سعود : معاذ الله أن نُنكر ما ثبت في شرعنا , وهل منعناكم أنتم من الزّيارة ؟ وإنّما نمنع منها العامّة الذين يُشركون العبوديّة بالرّبوبيّة , وسبيل الزّائر أن يعتبر بحال الموتى , وأن يدعوا لهم ويستغفر لهم , ويسأل الله تعالى المُنفرد بالمنع والإعطاء<u>بجاه ذلك الميّت إن كان ممّن يليق أن يُستشفع به</u> , هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه , ثمّ إنّ العلماء المغاربة لم يُشاهدوا من الأمير ابن سعود أدنى شيء يُخالف الشّريعة , وإنّما شاهدوا منه وأتباعه غاية الاستقامة , والقيام بشعائر الإسلام . . . ونهي عن المُنكر الحرام , وتطهير الحرمين الشّريفين ممّا كان يُرتكب فيهما من القاذورات والآثام جهارا من غير نكير !

ولمّا رجع الوفد العلمي إلى المغرب الأقصى وقصُّوا على المولى سُليمان ما شاهدوه في الحجاز من الأمن الشّامل والعمل بالقُرآن الكريم والسّنّة النّبويّة في العبادات والمُعاملات أثر ذلك فيه أحسن تأثير حتّى أنّه ألّف كتابا (كما قال صاحب الاستقصاء) في الرّد على << مُتصوّفة وقته >> , حثّ فيه على التّمسّك بالسّنة وعلى ترك البدعة , وشنّع بالمُبتدعين من << مُتفقّرة زمانه >> وتكلّم عن الزّيارة وعن

دعاء غير الله بما يُوافق الوهّابيين أو حنابلة نجد في رأيهم , ولا يُخالفهم , وأورد صاحب الاستقصاء رأي حنابلة نجد في الزّيارة ودُعاء غير الله ثمّ أردفه بتفصيل من عنده في << زيارة الأنبياء >> ثمّ قال ما نصّه : << وأمّا الأولياء فالقول بمنع زيارتهم مع بيان علّتها . . . هو قول وجيه , تقتضيه قواعد الشّريعة المطهّرة , وهذا القول هو الذي رآه الشّيخ الفقيه الصّوفي أبو العبّاس أحمد التّجاني رحمه الله حتّى نهى أصحابه عن زيارة الأولياء (راجع الاستقصاء ج 4 ص 146) . . >> .

ومُقتضى عبارة الاستقصاء أنّ الشّيخ رحمه الله لم يقل بمنع زيارة الأولياء من تلقاء نفسه وإنّما كان في هذه المسألة تابعا للوهّابيين . وفي كُتب الطّريقة التّيجانيّة كثير من الحوادث والوقائع التي نهى فيها الشّيخ أصحابه عن زيارة الأولياء , ومع أنّهم قد نفوا أن يكون الشّيخ قد منعهم من الزّيارة أنانيّة واستأثارا , فقد جاء بتأويل كثير, ولكنّه لا يُوافق المنطق والتّأريخ , وزعم زاعم أنّ الشّيخ التّجاني إنّما منع من زّيارة الأولياء خوفا على أتباعه ومُريديه من مُعاصره ومُنافسه القوي الشّيخ الفقيه الصّوفي أبي عبد الله محمّد العربي الدّرقاوي الذي كان يجذب إليه قلوب الذين يستمعون إلى وعظه وإرشاده , وأنا أعتقد أنّ هذا الزّعم غير صحيح فالشّيخ التّجاني ليس في حاجة إلى أن يمسك عليه أتباعه ومُريديه بمثل هذا الأمر فأحبابه لا يُؤثّر فيهم لا الشّيخ الدّرقاوي ولا غير الدّرقاوي , على أنّ أتباع كلّ شيخ طريقة لا يزورون من عند أنفسهم أيّ شيخ طريقة أخرى من غير أن يحثّهم على ذلك أحد من النّاس .

ولقد كانت المُنافسة بين التّجاني وبين الدّرقاوي مُنافسة شديدة حقّا على أتمّ ما تكون قُوّة وعُنفا , وجرت بينهما ذات يوم في مسجد جامع مُناقشة حادّة وخصام طويل رُبّما نشرناه مرّة أخرى , ولكن ذلك كلّه لا يحمل التّجاني على التّملق والتّفلسف والسّخافات , وهو الذي عُرف منه النّاس الهمّة التي لا تتعلّق إلاّ بمعالي الأمور .

***

إنّ الخصومة التي كانت بين هذين الشّخصين كانت في صميمها خُصومة سياسيّة محضة , وإن كانت تلبس لباس الدّين . وذلك أنّ المولى سُليمان كان يرى في الطّريقة الدّرقاويّة والطّريقة الطيبية وغيرهما أحزابا سياسيّة وتشكّلات مُناهضة تعمل لإسقاط وسحق سُلطانه , ولقلب نظام الحُكم في المغرب الأقصى , وبعبارة أخرى أنّ هذه الطّرق الصّوفيّة في نظره كانت تعمل لفائدة << الأدارسة >> الذين لا يزالون يتطلّعون إلى عرش المغرب الأقصى , ويتوثبون عليه من حين إلى حين , والمولى سُليمان مُحق في رأيه هذا , فالشّيخ الدّرقاوي مثلا كان تآمر مع أهل فاس على خلع المولى سُليمان وعلى مُبايعة المولى إبراهيم بن يزيد , وسجن الشّيخ الدّرقاوي من أجل ذلك , وقد جاء عياله وذراريه إلى السّلطان يتضرّعون إليه أن يُطلق سراح << كاسبهم >> فرفض شفاعتهم ولم يقبلها , وتركه مُمتحنا مسجونا ولبث كذلك حتّى توفّي السّلطان إلى رحمة الله وكم من فتن وثورات قامت في المغرب الأقصى على المولى سُليمان وعلى غيره من السّلاطين , وكانت كلّها من المُتشوّفين إلى العرش والطّامعين في المُلك من أشياخ الطّرق وأرباب الزّوايا .

وقد جرّب المولى سُليمان أن يكون هو نفسه شيخ طريقة صوفيّة (أو رئيس حزب سياسي) ليكثر من حوله الأشياخ والأنصار , ولكن ما يتطلّبه العرش من أبّهة وجلال , ومن رسميات وتقاليد حالت بينه وبين ما يُريد , وليس من السّهل أن يُؤسّس المولى سُليمان << طريقة صوفيّة >> يخضد بها شوكة الطّرق الصوفيّة الأخرى , فإنّه إن نصّب على رأسها قريبا من أقاربه الشّرفاء خاف من هذا القريب نفسه أن يثور عليه , وأن يطلب المُلك لنفسه متى كثر حوله الأتباع والأنصار والمريدون , فلمّا

انتقل الشّيخ التّجاني إلى فاس وجد فيه السّلطان ضالّته المنشودة فالشّيخ صوفيّ مشهور , وله أتباع غير قليلين , وهو جزائري الأصل والفصل لا يخاف السّلطان منه أن يدّعي المُلك لنفسه وهو في ديار الغُربة , فاقتبله السّلطان وآواه وأكرم نزله ومثواه , وأعطاه دارا من دوره كان قد أنفق في بنائها وتأثيثها مالا كثيرا , وكانت هذه الحظوة التي حظيها الشّيخ عند السّلطان سببا في انتشار الطّريقة التّجانيّة بين رجال الدّولة والمتقرّبين إلى السّلطان من مُوظّفين وغير مُوظّفين وتتابع النّاس يعتنقون هذه الطّريقة << **والنّاس على دين مُلوكهم** >> كما قيل حتّى كادت تُصبح هي << الطّريقة الرّسميّة >> لدولة المغرب الأقصى ونحن لا نعلم يقينا أنّ المولى سُليمان قد فرض على النّاس فرضا أن يكونوا (تجانيين) ولكنّنا نعلم أنّه قد أُعجب بالشّيخ التّجاني (واعتقده)ونعلم أنّه قد أظهر هذا الإعجاب وهذا الاعتقاد , على أنّنا نعلم أيضا أنّه كان ساخطا على كثير من أشياخ الطّرق الأخرى , ويُحدّثك التّاريخ أنّ الرّجل المغربي قد يكون ذا مال كثير , وقد يبيت بين أهله ناعم البال آمنا في سربه , وما هي إلاّ أن يشتدّ الظّلام حتّى ينقض عليه زبانية السّلطان أو زبانية عامل من عمّال السّلطان فلم يَدعُوا له مالا إلاّ نهبوه ولا جارية إلاّ سحبوها ولا عيالا إلاّ شرّدوه ولكنّه إذا كان (تجانيا) فهو (محرّر) لا يمسّونه بسوء , ولا ينالونه بأدنى أذى , ومن هنا شاع بين العامّة أنّ من اعتنق الطّريقة التّجانيّة ضمنت له الثّروة والغنى ! . ولقد تبارى في مدح الشّيخ التجاني وفي إظهار كراماته وفضائله ومُعجزاته كلّ أولئك الذين يبتغون عند السّلطان (التّقرب والزّلفى) وكان يرتاح لذلك ويتقبله قبولا حسنا .

غير أنّ الشّيخ التّجاني رحمه الله بعد أن غادر بلاده (الجزائر) مُكرها , وبعد أن ترك فيها أشياعه وأنصاره , وبعد أن ضاعت فيها آماله ومطامحه وأمانيه لم يعد يعنيه أن يجتمع عليه النّاس أو أن ينفض من حوله (الأحباب) والمُريدون فكان رضي الله عنه لا يُبالي بهذه الحظوة التي حظيها عند السّلطان , كأنّه كان يعلم أنّ (وراء الأكمة ما وراءها) .

ولقد قرأت أنّ هذا الشّيخ نهي أتباعه عن زيارة الأولياء ونهاهم عن (التّمشيخ) قائلا : إنّ دعوى المشيخة من سوء الابتداع , وترك هو المشيخة فعلا وأغلق بابه دون أحبابه ومُريديه فيما رواه عنه بعض التّجانيين فظننت انّه قد عرف من السّلطان أنّه إنّما يتّخذه آلة لمُقاومة الطّرق الأخرى , وهذا ما لا يُريده الشّيخ لنفسه , ولا يرضاه لها فترك المشيخة ـ لذلك ـ وكان من أمره ما كان , ولكنّني اليوم أصبحت أعتقد أنّ الشّيخ إنّما ترك المشيخة ونهى عن الزيارة اقتداء بابن عبد الوهّاب , ورُجوعا منه إلى السّنّة والكتاب.

كان الشّيخ التّجاني مُعاصرا للأمير عبد الله ابن سعود الذي استولى على الحجاز , وطرد منه الأتراك العُثمانيين , وبلا شكّ أنّ الشّيخ قد بلغه وقد سمع أنّ الأمير بن سعود هذا قد أحيى السّنّة النّبويّة وعمل بالقرآن وأنّه طهّر الحرمين الشّريفين ممّا كان يُرتكب فيهما من الموبقات والآثام في النّهار المبصر دون نهي ولا نكير فسُرّ بهذه الأخبار , وكان الشّيخ نفسه قد حجّ إلى بيت الله الحرام فلا يبعد أن يكون قد لقي في حجّه بعض علماء نجد الحنابلة فأخذ عنهم آراءهم في (الزّيارة) و (المشيخة) والشّيخ عندما كان يطلب (علم القوم) لم يكن يطلبه لذاته , بل كان يطلب فيه الخير والهدى فلمّا وجد أنّ الخير كلّه في سنّة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأنّ الهدى هدى الله , ترك المشيخة وعِلمَ القوم وتمسّك بالسّنّة والكتاب .

وكان الشّيخ قد أرسل بعض أصحابه إلى الحجاز في مُهمّة لا نعلمها , وهي ما تزال إلى هذا اليوم سرّا مكتوما , لأنّ هذا الرّسول قد أفضى إلى عمله ومات في طريقه , ولم يرجع إلى شيخه , ولكن من

يدري ؟ فلعلّ هذه المُهمّة كانت كتابا أرسل به الشّيخ إلى الأمير بن سعود ليتّفق معه على نشر الكتاب والسّنّة , وعلى الدّعوة إليهما في هذه الدّيار , وبين الأمير بن سعود وبين الشّيخ التّجاني رابطة قويّة أخرى تربط ما بينهما فكلاهما ناقم ثائر على الأتراك , أمّا ابن سعود فأمره مع التّرك معلوم وأمّا التّجاني فقد كان ناقما على أتراك الجزائر , وحاول غير مرّة أن يثور عليهم وأن يردعهم بحدّ السّنان , وعزم ذات يوم على الثّورة وأعدّ لها عُدّتها وسعى لها سعيها , والتقى في جمع من أنصاره حوالي مدينة مُعسكر مع جنود الأتراك , ولكن ثورته هذه كانت فاشلة , وانسحب من الميدان قبل الشّروع في القتال , فكان ذلك سببا في حقن كثير من دماء المُسلمين , ثمّ اضطرّه الأتراك إلى مُغادرة البلاد , ولكنّ ابنه سيدي محمّد دخل الجزائر بعد وفاة أبيه خائفا يترقّب , وجمع الجموع وأعلن الثّورة على التّرك حوالي مُعسكر أيضا فجرّدوا حملة عليه عسكريّة هزمته وقتلته ومثّلت به تمثيلا شنيعا , ومن هذا تعرف أنّ الشّيخ رحمه الله كان ناقما على الأتراك النّقمة كلّها , وهذا ممّا يجعله يعطف على ابن سعود ويرتضي الدّعوة الوهّابيّة كثورة على الظّلم والفساد وكدعوة إلى الدّين الخالص القيّم الحنيف .

وبعد فهذه أفكار وآراء ما أريد أن أفرضها فرضا على القارئ الكريم , ولكنّي رأيتها صالحة لتعليل منع الشّيخ التّجاني لأحبابه من زيارة الأولياء ولتعليل تركه للمشيخة وقوله عنها أنّها من سوء الابتداع , ولم تقم عندي الشّواهد والبيّنات القاطعة حتّى أجزم بأنّ الشّيخ التّجاني كان << وهّابيا >> بأتمّ معنى الكلمة , غير أنّي لا أتردّد أن أقول ـ بكلّ جزم ويقين ـ أنّ الشّيخ التّجاني هذا كان يُحبّذ الدّعوة الوهّابيّة ويُوافق عليها , وأنّه كان ينظر إليها بعين الغبطة والرّضى .

وهران محمّد السّعيد الزّاهري

بعد عشرين سنة في التّعليم , نُسأل :

هل عندنا رُخصة ؟ !

عشرون سنة مضت ونحن ننشر العلم بالجامع الأخضر وفي مسجد سيدي قموش ومسجد سيدي عبد المؤمن والطّلبة يأتون من جميع نواحي القُطر , يتزوّدون من علوم الدّين واللّسان ويستعين المحاويج منهم على ذلك بشيء طفيف من الإعانة بالخبز ممّا يُعطيه بعض النّاس المُحسنين من الزّكاة .

ابتدأت القراءة في قسنطينة بدراسة الشّفاء للقاضي عياض بالجامع الكبير حتّى بدا لمُفتي قسنطينة الشّيخ ابن الموهوب أن يمنعنا فمنعنا . . . ! فطلبنا الإذن من الحكومة بالتّدريس في الجامع الأخضر فأذنت لنا وكان هذا الإذن على يد م أريب الكاتب العام للأمور الوطنيّة بدار العمالة إذ ذاك .

مضت عشرون سنة ونحن نُعلّم في الجامع الأخضر الذي أسّسه المرحوم حُسين باي للصّلاة والتّسبيح والتّعليم , وكأنّه خشي أن يهمل فيه التّعليم ويُحرم المُعلّمون من حقّهم في ريع حبسه ـ فسجّل إرادته بالتّنصيص عليه فكتب بالحروف الكبيرة البارزة على واجهة بيت الصّلاة ما نصّه :

(أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم وتشييد بنائه للصّلاة والتّسبيح والتّعليم , ذو القدر العلي والتّدبير الكامل وحسن الرّأي أميرنا وسيّدنا

حسن باي أدام الله أيّامه وكان تمام بنائه أواخر شهر شعبان سنة ستّ وخمسين ومائة وألف) .

مضت عشرون سنة والنّاس يشكرون للحكومة توظيفها مُدرّسا يقضي سحابة نهاره وشطرا من ليله في خدمة العلم الدّيني واللّساني ونشره ظنّا منهم أنّني أتقاضى مُرتّبا كسائر المُتوظّفين وأنا لم أرزأ الحكومة فلسا واحدا والفضل لله , وما كُنت إلاّ مُدرّسا مُتطوّعا مُكتفيا بالإذن لي في التّعليم ذاكرا ذلك للنّاس عن الحكومة في المُناسبات بالجميل .

مضت عشرون سنة والسّواح الأجانب يأتون للجامع الأخضر يشهدون حلقات العلم ووفرة الطّلاّب فيعدّون ذلك من عناية الحكومة بالمساجد الإسلاميّة وتركها حرّية التّعليم للمسلمين .

وبعد هذه العشرين سنة في ذلك كلّه دُعيت مساء الخميس الماضي إلى دار عامل العمالة ليُعرّفني م الكاتب العام بكِتاب جاءه من الولاية العامّة سألوه فيه عن عبد الحميد بن باديس الذي يُقرئ مُتطوّعا بالجامع الأخضر بدون رُخصة والقانون يمنع من التّعليم بدون رُخصة فأجبنا بأنّنا ما أقرأنا إلاّ برُخصة من الحكومة بواسطة م أريب منذ عشرين سنة وأبدينا تعجّبنا من هذا السّؤال بعد عشرين سنة فقبل م الكاتب العام الجواب منّا على أن يُجيب به الولاية العامّة وينتظر ما يكون منها .

هذا ما نذكره اليوم حكاية لتّاريخ قيامنا بالتّعليم وإثباتا لم سئلنا عنه وما أجبنا به مُكتفين به حتّى نرى ما ينتهي إليه الأمر في هذه المسألة التي ليست مسألة عبد الحميد بن باديس ولكنّها مسألة التّعليم الدّيني واللّساني للمُسلمين , ومسألة مائة طالب أو يزيدون جاءوا من العمالات الثّلاث لقسنطينة هذه الأيّام , ومسألة نحو الألفين من سُكّان قسنطينة ونواحيها يمتلئ بهم الجامع الأخضر كلّ ليلة في مجالس التّذكير .

ومن واجب الحق عليّ أن أذكر هنا ما شاهدته من م تروسيل الكاتب العام من أدب ولُطف وحرص على ألاّ يتعرّض لدُروسنا بسوء , فأنا أشكره بلسان العلم وطُلاّبه شُكر من يُقدّرون أقدار الرّجال ولا يخلفون إلاّ الله .

عبد الحميد بن باديس

وهّابي

(ولا تنابزوا بالألقاب بيس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)
قرآن كريم , للشّيخ السّلفي الكبير رئيس لجنة العمل الدّائمة
لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين

– 2 –

ولهذا قلت ومازلت ولن أزال أقول أنّ المالكي الذي يطعن في الوهّابيين يطعن في مالك ومذهبه من حيث يشعر أو لا يشعر أو أنّه جاهل أو مُتجاهل وقد تحيّر كثيرا صاحب الشّفاء من قول بكراهة من يقول زُرنا قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم واحتال كثيرا على إيجاد تأويل لذلك كما يعلم الواقف عليه ولم يجد إلاّ قوله أعني قول صاحب الشّفاء والذي عندي أنّ منعه وكراهة مالك له للإضافة إلى القبر وأنّه لو قال زُرنا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يكره لقوله صلّى الله عليه وسلّم اللّهمّ لا تجعل قبري وثنا يُعبد ,

اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا اللّفظ إلى القبر والتّشبّه بفعل أولئك , انتهى . قلت : لقد أصاب وهو من يعرف مناقب مالك ومذهبه المبني على سدّ الذّرائع وعلم أيضا أنّه لم يَرد في الصّحيحين ما يعتمد عليه من الأحاديث في كيفيّة زيارة قبره صلّى الله عليه وسلّم ممّا يعتقده العامّة ويعملون به من إمساك شُبّاك النّبيّ صلّى الله علي وسلّم والاستغاثة به والطّلب منه أمورا من مصالحهم لم تُشرع , ولم تُسن , ولذا قال أيضا أعني صاحب الشّفاء : وقال مالك في المبسوط<< لا أرى أن يقف عند قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويدعو ولكن يُسلّم ويمضي >>,قال شارح هذا الموضع شهاب الدّين الخفاجي : ظاهره أنّ مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مُطلقا >> , قلت فليتأمّل هذا الغلاة الطّوّافون بقبور الأموات الصّالحين ومُناداتهم والتّوسّل بهم , وهذا عين ما يقول الوهّابيون وابن تيمية وابن القيّم ومحمّد بن عبد الوهّاب رحمهم الله فيصبّون على الوهّابيين سوط الانتقاد والتّكفير وهو عين مذهب مالك وقوله وعمله , حتّى إنّ السبكيين انتقموا من ابن تيميّة رحمه الله لماذا هو حنبلي ويوافق مالك في غالب اقتدائه ويُخالف باقي الأئمّة والثّابت الصّحيح في زيارته صلّى الله عليه وسلّم بعد مماته , ما فعل ابن عُمر رضي الله عنهما فإنّه كما قال مولاه نافع أنّه رآه أكثر من مائة مرّة يأتي إلى قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيقول السّلام على النّبيّ السّلام على أبي بكر السّلام على أبي ثمّ ينصرف , انتهى .

ثمّ إنّ الغلاة يُؤذوننا ويُؤذون الإخوان الحنابلة بأنّنا وإيّاهم قد حططنا من قدر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن قدر الولي إذا لم نعمل بما لم يثبت عن الأئمّة العظام كمالك الذي وُلد في أواخر القرن الأوّل وعاش في المدينة نحو قرن أي تسعين سنة ولحق عشرات الألوف من التّابعين والأئمّة الصّالحين حتّى إنّه لو أراد أن يكتم عنّا أو يبخل بشيء لا يُقبل منه مثل هذه الزّيارة ومثل القراءة على الجنائز والصّياح وراءها بأناشيد بالتّوقيع تلك البدع المُضادّة لبُرودة الوجل من الموت وسُكونه الذي قضت به الطّبيعة إذ الإنشاد أو التّلاوة إنّما يكون بباعث الحركة والحركة بالحرارة والحرارة ينشأ عنها الطّرب , والموت خلاف ذلك كلّه يا أولي الأبصار والاعتبار .

وها كم ما في الاستقصاء :

وُصول كتاب صاحب الحجاز

عبد الله بن السّعود الوهّابي إلى فاس وما قاله العلماء في ذلك

وفي هذه المدّة أيضا وصل كتاب عبد الله ابن السعود الوهّابي النّابغ بجزيرة العرب المتغلّب على الحرمين الشّريفين المُظهر لمذهبه بهما إلى فاس المحروسة وأصل هذه الطّائفة الوهّابيّة كما عند صاحب التّعريبات الشّافية وغيره أنّ فقيرا من عرب نجد يُقال له سُليمان رأى في المنام كأنّ شُعلة من نار خرجت من بدنه وانتشرت وصارت تأكل ما قبلها فقصّ رُؤياه على بعض المُعبّرين ففسّرها له بأنّ أحد أولاده يجدّد دولة قويّة فتحقّقت الرّؤيا في ابن ابنه الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب بن سُليمان فالمُؤسّس للمذهب هو محمّد بن عبد الوهّاب ولكن نُسب إلى عبد الوهّاب , فلمّا كبر محمّد احترمه أهل بلاده ثمّ أُخبر بأنّه قرشي ومن أهل بيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وألّف لهم قواعد وعقائد وهي عبادة الله واحد قديم قادر حق رحمان يُثيب المُطيع ويُعاقب العاصي وأنّ القرآن قديم يجب اتّباعه دون الفروع المُستنبطة وأنّ محمّدا رسول الله وحبيبه ولكن لا ينبغي وصفه بأوصاف المدح والتّعظيم , إذ لا يليق ذلك إلاّ بالقديم , وأنّ الله تعالى حيث لم يرض بهذا الإشتراك سخّره ليهدي النّاس إلى سواء الطّريق فمن امتثل فبها

ونعمت وإن أبى فهو جدير بالقتل , فهذه أصول مذهبه وكان قد بثّه أوّلا سرا فقلّده أناس ثمّ سافر إلى الشّام لهذا الأمر فلم يجد به مُراده , رجع إلى بلاد العرب بعد غيبته عنها ثلاث سنين , فاتّصل شيخ من أشياخ عرب نجد يُقال له عبد الله بن سعود وكان شهما كريم النّفس فقلّده وقام بنصرة مذهبه وقاتل عليه حتّى أظهره واقتسم الرّئاسة هو ومحمّد بن عبد الوهّاب فابن عبد الوهّاب صاحب الاجتهاد في مسائل الدّين وابن سعود أمير الوهّابيّة وصاحب حربهم وما زال أمر هؤلاء الوهّابيّة يظهر شيئا فشيئا إلى أن تغلّبوا على الحجاز والحرمين الشّريفين وسائر بلاد العرب , ثمّ قال صاحب التّعريبات الشّافية أنّ مساجد الوهّابيّة خالية من المنارات والقباب وغيرها من البدع المُستحسنة فلا يُعظّمون الأئمّة والأولياء ويدفنون موتاهم من غير مشهد واحتفال , يأكلون خبز الشّعير والتّمر والجراد والسّمك ولا يأكلون اللّحم والأرز إلاّ نادرا ولا يشربون القهوة وملابسهم ومساكنهم غير مُزيّنة ,ا ه . ولمّا استولى ابن السّعود على الحرمين الشّريفين بعث كُتبه إلى الآفاق كالعراق والشّام ومصر والمغرب يدعو النّاس إلى اتّباع مذهبه والتّمسّك بدعوته ولمّا وصل كتابه إلى تونس , بعث مُفتيها نُسخة منه إلى علماء فاس فتصدّى للجواب عنه الشّيخ العلاّمة الأديب أبو الفيض حمدون ابن الحاج , قال صاحب الجيش كان تصدّى الشّيخ أبي الفيض لذلك الجواب بأمر السّلطان وعلى لسانه فذهب بجوابه ولده المولى إبراهيم بن سُليمان حين سافر إلى الحج , وفي هذه السّنة أعني سنة ستّ وعشرين ومائتين وألف وجّه السّلطان المولى سُليمان رحمه الله ولده الأستاذ الفاضل المولى ابن إسحاق إبراهيم ابن سُليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ مع الرّكب النّبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديعة من الاحتفال وإبراز الأخبية لظاهر البلد وقرع الطّبول وإظهار الزّينة وكانت الملوك تعتني بذلك وتختار له أصناف النّاس من العلماء والأعيان والتّجّار والقاضي وشيخ الرّكب وغير ذلك ممّا يُضاهي ركب مصر والشّام وغيرهما , فوجّه السّلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلاّمة القاضي أبي الفضل العبّاس بن كيران والفقيه الشّريف البركة المولى الأمين بن جعفر الحسني الرّتبي والفقيه العلاّمة الشّهير أبي عبد الله محمّد العربي السّاحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه , فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الرّوضة المُشرّفة على حين تعذّر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهّابيين بالحجاز يومئذ , ومُضايقتهم لحجّاج الآفاق في أمر حجّهم وزيارتهم إلاّ على مُقتضى مذهبهم وحكى صاحب الجيش (كتاب) أنّ المولى إبراهيم ذهب إلى الحج واستصحب معه جواب السّلطان فكان سببا لتسهيل الأمر عليهم وعلى كلّ من تعلّق بهم من الحجّاج شرقا وغربا حتّى قضوا مناسكهم وزياراتهم على الأمن والأمان والبرّ والإحسان , قال حدّثنا جماعة وافرة ممّن حجّ مع المولى إبراهيم في تلك السّنة أنهم ما رأوا من ذلك السّلطان يعني ابن سعود ما يُخالف ما عرفوه من ظاهر الشّرع وإنّما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المُنكر الحرام وتنقية الحرمين الشّريفين من القاذورات والآثام التي كانت تُفعل فيها جهارا من غير نكير , وذكروا أنّ حاله كحال آحاد النّاس لا يتميّز عن غيره بزيّ ولا ركوب ولا لباس وأنّه لمّا اجتمع بالشّريف المولى إبراهيم أظهر له التّعظيم الواجب لأهل البيت الكريم وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته وكان الذي تولّى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزداغي فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم إنّ النّاس يزعمون أنّنا مُخالفون للسّنّة المحمّديّة فأيّ شيء رأيتمونا خالفنا من السّنّة وأيّ شيء سمعتموه عنّا قبل اجتماعكم بنا . فقال له القاضي : بلغنا أنّكم تقولون بالاستواء الذاتي المُستلزم لجسميّة المُستوي , فقال لهم معاذ الله إنّما نقول كما قال مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والسّؤال عنه بدعة , فهل في هذا من مخالفة , قالوا لا وبمثل هذا نقول نحن أيضا , ثمّ قال له القاضي : بلغنا أنّكم تقولون بعدم حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم , ارتعد ورفع صوته بالصّلاة عليه وقال : معاذ

الله إنّما نقول أنّه صلّى الله عليه وسلّم حيّ في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشّهداء , ثمّ قال له القاضي : وبلغنا أنّكم تمنعون من زيارته صلّى الله عليه وسلّم وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في الصّحاح التي لا يُمكن إنكارها , فقال : معاذ الله أن نُنكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم أنتم لمّا عرفنا أنّكم تعرفون كيفيتها وآدابها وإنّما نمنع العامّة الذين يُشركون العبوديّة بالألوهيّة ويطلبون من الأموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها إلاّ الرّبوبيّة وإنّما سبيل الزّيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكّر مصير الزّائر إلى ما سار إليه المزور ثمّ يدعو له بالمغفرة ويستشفع به إلى الله تعالى ويسأل الله تعالى المُنفرد بالإعطاء والمنع بجاه ذلك الميّت إن كان ممّن يليق أن يُستشفع به . هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه , ولمّا كان العوام في غاية البُعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سدّا للذّريعة فأيّ مُخالفة للسّنّة في هذا القدر ا ه . ثمّ قال صاحب الاستقصاء : قلت مسألة زيارة قبور الأنبياء مشهورة في كُتب الأئمّة وهي من القُرب المرغب فيها عند الجمهور ومعها قوم من الحنابلة وشدّد تقيّ الدّين ابن تيميّة منهم فيها مُتحجّجا بقوله عليه الصّلاة والسّلام : لا تُشدّ الرّحال إلاّ إلى المساجد الثلاثة مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى وهو عند الجمهور مؤوّل بأنّ المعنى لا تُشدّ الرّحال لصلاة في مسجد إلاّ ثلاثة مساجد ا ه . وقد بسط القول في هذا صاحب المواهب اللدنية والقول الفصل أنّ التّبرّك بآثار الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام والأولياء رضي الله عنهم وزيارة مشاهدهم من الأمر المعروف عند أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم المُجمع عليه خلفا وسلفا لا يسع إنكاره , غير أنّ للزّيارة آداب تجب المُحافظة عليها وشُروطا لا بدّ من مُراعاتها والوقوف لديها ثمّ القول بمنعها مُطلقا سدّا للذريعة في حقّ العامّة إذ هم أكثر النّاس وُغولا في ذلك فيه نظر أمّا الأنبياء فلا ينبغي لعاقل أن يَحرّم نفسه من الوُقوف على مشاهدهم والتّبرّك بتُربتهم والاحتماء بحماهم ولا أن يقول بذلك لمزيد ارتفاع درجتهم عند الله تعالى ولِنُدور اتّفاق زيارتهم لأكثر الغرباء . وأمّا الأولياء فالقول بمنع زيارتهم سدّا للذريعة مع بيان العلّة وإشهارها بين النّاس حتّى لا يلتبس عليهم المقصود قول وجيه لا تأباه قواعد الشّريعة بل تقتضيه والله أعلم .

وهذا القول هو الذي قال به الشّيخ الفقيه الصّوفي أبو العبّاس أحمد التّجاني رحمه الله تعالى حتّى نهى أصحابه عن زيارة الأولياء وأقول أنّ السّلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئا من ذلك ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلّم فيها على حال مُتفقّرة الوقت وحذّر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السّنّة والتّغالي في البدعة وبيّن فيها بعض آداب زيارة الأولياء وحذّر من تغالي العوام في ذلك وأغلظ فيها مُبالغة في النّصح للمسلمين جزاه الله خيرا ومن كلامه فيها ما نصّه : تنبيه من الغلوّ البعيد ابتهال أهل مرّاكش بهذه الكلمة سبعة رجال فهو كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم إلى أن قال فعلينا أن نقتد بسبعة رجال ولا نتّخذهم آلهة لئلا يئول الحال فيهم إلى ما آل إليه في يغوث ويعوق ونسرا الخ كلامه وصدق رحمه الله فكم من ضلالة وكُفر أصلها الغلوّ في التّعظيم إلى أن قال ــ صاحب الاستقصاء ــ وحكى ابن إسحاق في السّيرة أنّ أصل حدوث عبادة الحجر في بلاد العرب أنّ آل إسماعيل عليه السّلام لمّا كثروا حول الحرم وضاقت بهم فجاج مكّة تفرّقوا في النّواحي وأخذوا معهم أحجارا من الحرم تبرّكا بها فكان أحدهم يضع الحجر في بيته فيطوف ويتمسّح به ويُعظّمه ثمّ توالت السّنون وخلفت الخلوف فعبدوا تلك الأحجار ثمّ عبدوا غيرها وذهبت منهم ديانة إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام إلاّ يسيرا جدّا بقي فيهم إلى أن صبّحهم الإسلام . هذا معنى ما ذكره ابن إسحاق وقد تكلّم الشّاطبي وغيره من العلماء فيما يقرب من هذا وذكروا أنّ الغلوّ في التّعظيم أصل من أصول الضّلال ولو لم يكن في ذلك إلاّ قضيّة الشّيعة لكان كافيا ا ه . ما أخذناه من تاريخ الاستقصاء . الزواوي

السنة الاولى — ثمن النسخة ٥٠ س — العدد ٧

تصدرها الجمعية تحت اشراف رئيسها الاستاذ
عبد الحميد بن باديس

قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب

الصـــــراط

رئيس تحريرها الاستاذان
العقبي والزاهري

صاحب الامتياز : احمد بوشمال
تيليفون الادارة ١٥-٥

المراسلات كلها بهذا العنوان
ES-SIRATE
13, rue A. Lambert, 13
CONSTANTINE

الاشتراكات
عن سنة ٣٥ ف
وللتلامذة ٢٥ ف
عن نصف سنة ٢٠ ف

السوي ومن اهتدى

لسان حال جمعية المسلمين الجزائريين

ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها

من رغب عن سنتي فليس مني

قسنطينة يوم الاثنين ١١ رجب ١٣٥٢ — الاثنين من كل اسبوع — Constantine le 30 Octobre 1933

اجوبة وزيرية

عن اسئلة برلمانية

كانت جريدة « لاديبيش الجريان » نشرت بعددها الصادر يوم ١٥ جوان سنة ١٩٣٣ اسئلة كتابية القاها والينا العام سابقا السيناتور السيد فيوليت على وزير الداخلية وعربنا ونشرنا نصها بالعدد ١١ من جريدة « السنة » الشهيدة المرحومة المأسوف عليها

مر على هذه الاسئلة ما يقرب من الخمسة اشهر ولم يحظ ملقيها بجواب وذلك رغم مالها من الاهمية الكبرى حتى كدنا ننساها تماما او نعتقد ان الوزراء اجل قدرا وارفع مقاما من ان يعتنوا بمسائل تخص المسلمين الجزائريين ولو باشرها عضو من افضل اعضاء البرلمان !

ولما طال انتظارنا بغير جدوى سكتنا وصبرنا لاننا تعودنا السكوت والصبر مهما عظمت المصيبة وجل الخطب ووكلنا امرنا الى خالق القوي والضعيف والوضيع والشريف والوزير « والبريفي » سكتنا سكوت اليائس العاجز وصبرنا صبر الضعيف المغلوب على امره ولم يبق في ظننا ان جناب الوزير يتفضل يوما ما بتضحية دقائق من وقته النفيس ليجيب «بما امكن » او «بما تيسر . . . » عن اسئلة السيد فيوليت !

وفي صباح هذا اليوم ٩ اكتوبر تناولنا كعادتنا جريدة (لاديبيش الجريان) المومى اليها فقرأنا فيها جواب حضرة الوزير وان شئت قلت (اجوبته) عن النقط التي كانت نشرتها هذه الجريدة في عددها الصادر يوم ١٥ جوان ولتتم الفائدة ويحيط القاري علما بالقضية ندرج الاسئلة بنصها الذي كان نشر بجريدة (السنة) ثم ندرج الاجوبة بنصها المنقول عن (لاديبيش الجريان) ثم نعلق على هذه الاجوبة بما نراه لائقا ومناسبا للمقام .

نص الاسئلة :

اسئلة برلمانية كتابية

سأل المسيو موريس فيوليت وزير الداخلية كيف رضي بمخالفة عامل عمالة الجزائر لقانون فصل الكنائس عن الدولة بامره الصادر يوم ٢٨ فيفري سنة ١٩٣٣ القاضي بحل الجمعية الدينية الاسلامية بالجزائر والحال ان المادة ٢٣ من قانون الفصل لا تعترف بحق حل هذه الجمعية الا للمحاكم الشرعية - وكيف اذن لعامل عمالة الجزائر حسب امر صادر باليوم المذكور بان ينتزع من الجمعية الدينية بالجزائر حق التصرف في المساجد والحال ان المادة ١٣ من قانون فصل الكنائس عن الدولة يقضي بان هذا الانتزاع لا يكون الا بامر دولي - واخيرا كيف يسوغ لعامل عمالة كائنا من كان ان يسمي من تلقاء نفسه وعلى مقتضى مشيئته جمعية دينية عوضا عن الجمعية التي اعدمها بخرق سياج القانون وان ساغ له ذلك فهل يسوغ له حتى فيما يخص الديانة الكاثوليكية ؟ .

نص الاجوبة

اولا — ان عامل عمالة الجزائر لم يبطل الجمعية الدينية الاسلامية الموجودة بعمالته وانما انتزع منها حق التصرف في الاماكن المعدة لاقامة الشعائر الدينية

ثانيا – ان الاماكن المشار اليها الكائنة بعمالة الجزائر كانت وضعت تحت تصرف الجمعية الدينية لا بمقتضى الفصل ١٢ من التنظيم الاداري العمومي المؤرخ بسبتمبر ٢٧ سنة ١٩٠٧ المتضمن كيفية وشروط تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة على القطر الجزائري بل تنفيذا للمادة ١٣ من التنظيم الاداري المذكور المنصوص فيه على (انه اذا لم توجد جمعيات دينية ذات اهلاك فان حق الانتفاع مجانا بالمساجد ومشاكلها يمكن اعطاؤه لجمعيات دينية مؤسسة طبق الفصلين ١٧ و١٨ من هذا الامر الدولي وان اعطاء حق الانتفاع بالمساجد يكون بعقد اداري يحرره عامل العمالة »

وان العقد الاداري الذي حرره عامل عمالة الجزائر يوم اول فيفري سنة ١٩١٠ المحرر طبق اشارات وزير العدلية والديانات – المسطرة تلك الاشارات برسالته المؤرخة بفيفري ١٩ سنة ١٩٠٩ يتضمن شرطا يقتضي (ان العقد الاداري يمكن ويجوز فسخه اذا حادت الجمعية عن الغرض الذي اسست لاجله او اعدت الاماكن الدينية لغير ما كانت معدة له اول مرة) – وبحسبه فان عامل العمالة لما ابطل العقد الصادر من سلفه قد طبق ونفذ الشرط المشار اليه الذي خوله حق الفسخ

ثالثا – ان عامل الجزائر لم يصدر امرا بتأسيس جمعية دينية جديدة وغاية ما فى الامر انه شكل لجنة استشارية بحتة ليس لها من العمل سوى ابداء واعطاء الآراء – ان دعت الحاجة اليها – في المسائل التي لها مساس بالديانة الاسلامية

وان هذه اللجنة لم ينط بعهدتها امر التصرف في المساجد

واخيرا ينبغي التصريح بان المشاكل الناتجة عن الاضطراب الذي كان سببا لاصدار الاوامر المشتكى منها معروضة الآن على نظر الوزير وسيقع حلها بكل ما يلزم من العناية والانصاف اجابة لمرغوب السيناتور المحترم وتقديرا لاهتمامه بها).

رأينا فى هذه الاجوبة

ملاحظة عامة : امتازت الاجوبة الوزيرية بالغموض بقدر ما كانت اسئلة السيد فيوليت واضحة جلية فانها كتبت باحدى الادارات التي لا تحب الا الابهام والايهام والعمل فى طي الخفاء وتحت رداء حالك الظلام

حقيقة اني اشتم منها رائحة اسلوب حررت به كل الرسائل وكل الاوامر وكل المناشير التي انفجر بها بركان الانتقام والغضب على جمعية العلماء وقادة الحركة الاصلاحية بين شهر نفامبر سنة ١٩٣٢ وشهر مارس سنة ١٩٣٣

واذا تاملنا فى الاجوبة وحللنا كلامنا على حدة الفيناها غير مقنعة – غير سديدة – غير مطابقة للواقع – غير موافقة للصواب – وهاك البيان :

يقول جناب الوزير : ان عامل الجزائر لم يبطل الجمعية الدينية الاسلامية وانما انتزع منها حق التصرف فى الاماكن المعدة لاقامة الشعائر الدينية »

ثم يقول : « انه لم يصدر امرا بتأسيس جمعية دينية جديدة وغاية ما فى الامر انه شكل لجنة استشارية بحتة ليس لها من العمل سوى ابداء واعطاء الآراء – ان دعت الحاجة اليها – في المسائل التي لها مساس بالديانة الاسلامية – وان هذه اللجنة لم ينط بعهدتها امر التصرف فى المساجد ! .

اذن فالسيد العامل من جهة افتك من الجمعية جميع مالها من النفوذ والتصرف فى المساجد وما يلحق بها – ومن جهة اخرى شكل لجنة استشارية مكلفة باعطاء اراءها فى المسائل المتعلقة بالديانة الاسلامية بحيث هي – اي اللجنة – تعطي الآراء وهو – اي العامل – يقضي ما يشاء ويفعل ما يشاء وهو وحده الذى يقضي ما يشاء ويفعل ما يشاء فى المسائل المتعلقة بالديانة الاسلامية سواء فيما يخص المساجد او الموظفين الدينيين او غير ذلك – ويشهد له جناب الوزير رغم هذا كله بانه لم يبطل الجمعية الدينية ولم ينصب مكانها لجنة او هيئة او شخصا للقيام بما كانت قائمة به تلك الجمعية – المبطلة فى نظرنا ونظر المنصفين من عباد الله – والغير المبطلة على رأي ولاة الامور

ان كان هذا لا يعد ابطالا للجمعية الدينية واستحواذا عنيفا على كل ما كان بيدها من سلطة ونفوذ وتصرف فان القتل لا يعد موتا والرمي بالرصاص لا يسمى اعداما

قل لي بربك ايها القاري – ولايلزم لهذا ان تكون وزيرا او عامل عمالة – اي معنى يبقى لجمعية دينية لا تتصرف في المساجد ولا تتدخل في تعيين ارباب الوظائف والمناصب الدينية ولا فى شيء من مختلف الشؤون !

نحن لا نجهل ان قاموس السياسة مملوء بالالفاظ التي لها من المعاني المتناقضة ما يرهب ويدهش غير اننا لا نقبل ان نعامل بما يعامل به الصبيان وان نخاطب دائما حتى في اخطر الامور واحرج الظروف بما نعتبره بحق مدافعة ومغالطة !

نحن آدميون على كل حال لنا من العقل ما نميز ونفرق به بين الحق والباطل والخير والشر والصدق وضده ولا نرضى ولن نرضى ابدا ان نعامل بغير ما يعامل به الآدميون !

ويقول حضرة الوزير : « ان العقد الاداري المؤرخ باول فيفري سنة ١٩١٠ يحتوي على شرط يقتضي ان العقد المذكور يجوز فسخه اذا حادت الجمعية عن الغرض الذي اسست لاجله او اعدت المساجد لغير ما كانت معدة له اول مرة »

نسلم لحضرة الوزير ان هذا الشرط موجود في العقد الاداري لكننا نستأذنه بالقاء السؤال الآتي عليه وعلى السيد عامل الجزائر :

ما هو الغرض الذي اسست لاجله الجمعية وبم حادت الجمعية عن الغرض الذي اسست لاجله ؟ ولم اعدت المساجد وبم ثبت ان الجمعية اعدتها لغير ما كانت معدة له اول مرة ؟

هل « حادت الجمعية عن الغرض الذي اسست لاجله » لان رئيسها اذن للعقبي واخوانه العلماء المصلحين بتعليم المومنين مبادىء دينهم الصحيح ؟

هل « اعدت المساجد لغير ما كانت معدة له اول مرة » لما القى فيها العقبي دروسا في تفسير كلام الله وحديث رسول الله ؟

ان كان هذا ما يسميه حكامنا الكبار تغييرا للغرض الذي اسست لاجله الجمعية وتبديلا لما اعدت له المساجد يوم اسست فنحن نكتفي بقولنا : اللهم هذا منكر !..

وعلى فرض ان الجمعية اخطأت او اذنبت او = بعبارة قانونية — خالفت شرطا من شروط العقد الاداري مخالفة تجيز او توجب فسخ هذا العقد فهل للعامل وحده حق الفسخ وهل يبيح له القانون ان يكون خصما وحكما وهل يسوغ له ان يحكم بما لا يسوغ الحكم به الا للمحاكم الشرعية المنظمة كما قاله السيد فيوليت في احد اسئلته ؟

ننتظر الجواب ولو بعد خمسة اشهر !..

وخلاصة القول اننا نأسف جد الاسف لما صدر من عامل الجزائر ولما دافع به عنه رئيسه وزير الداخلية لكنا نتفاءل خيرا بما ختم به جناب الوزير المذكور اجوبته الرسمية اذ يقول ان المشاكل الناشئة عن الاضطراب الذي كان سببا لمنع التدريس الديني الحر بالمساجد مطروحة على بساط النظر وان جنابه ساع في حلها بما يرضي السيناتور المحترم السيد فيوليت

الآن نقول :

آمين ونسمع

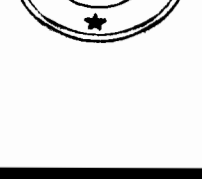

جمعية العلماء المسلمين

واوشاب القوم المفسدين

للغرب الافريقي ابن عالم بار نسله بنو هلال واتجه به المغرب الاقصى ، هو العلامة الاستاذ محمد تقي الدين الهلالي المدرس بالهند

لهذا الاستاذ شهرة علمية اصلاحية عظيمة بالشرق ومقالات رنانة في صحفه وهو = على بعده عن الغرب الافريقي لا يفتر عن العناية به والتتبع لاحواله والكتابة عنه وها هو اليوم قد اتحفنا بهذا المقال النفيس الذي نشرناه فيما يلي شاكرين لفضيلته عنايته وفضله

٢

المصلحون والاولياء

اعلموا وفقكم الله لسلوك سواء السبيل وحفظكم من الوقوع في مهاوي الجهالة ان المؤمنين جميعا اولياء الله ومن لم يكن ولي الله فهو عدو الله وقد رأينا كتاب الله جعل الناس فريقين اولياء الله واعداء الله وبين اوصاف الفريقين لكن ولاية الله تتفاوت تفاوتا عظيما فمن المسلمين من يكون حظه منها ضئيلا جدا حتى يكون ظاهره باعداء الله اشبه منه باوليائه وهذا هو الذي يخاف عليه سوء الخاتمة لانهماكه في المعاصي وجهله بما جاء به كتاب الله وسنة نبيه واقلة نصيبه من اسباب الولاية التي ذكرها الله في قوله « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة » فجعل الله الايمان والتقوى شرطا في نيل الولاية والايمان والتقوى يتفاوتان على معرفة ما يؤمن به المرء وما لا يؤمن به وما يتقيه وما يعمله وقال الامام ابن عاشر رحمه الله :

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال في ظاهر وباطن بذا تنال

وانما يعرف ذلك بمعرفة الكتاب والسنة اللذين هما موضوع درس المصلحين وهم جمعية العلماء الجزائريين ومن يقتدي بهم من المصلحين . فمن الناس من يرزقه الله الى العلم والعمل فيزيد ايمانه وتقواه فتكون درجة ولايته عالية عظيمة الى ان يبلغ الى الصديقية ومنهم من يقل ايمانه وتقواه ويستزله الشيطان ويزين له معاداة العلماء واتباع الجهال فيضلونه حتى يبلغ الى دركة الفسق ويكون نور ايمانه ضعيفا مع اشتداد رياح البدع والاهواء فربما ادركته عناية سابقة فتاب ورجع الى الله باتباع الكتاب والسنة والسلف الصالح وربما انطفأ نور ايمانه فمات على سوء الخاتمة عياذا بالله ولياذا به

وبين الفاسق والصديق درجات كثيرة حسب تفاوت الناس في الايمان والتقوى

الحكم بالصديقية

الصديقية هي الولاية الكبرى وهي مما اخفاه الله وحرم على عباده ان يتقدموا بين يديه فيدعوا لانفسهم او لغيرهم ذلك الا على سبيل الظن والرجاء

البقية على الصفحة السادسة

هل كان الشيخ التجاني «وهابيا» ؟؟

حقائق من التاريخ لا يعلمهن كثير من الناس

بقلم الاستاذ الزاهري العضو الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

اردت ان اطلع على الكتاب الذي ارسله الامير عبد الله ابن سعود صاحب الحجاز ونجد الى المولى سليمان سلطان المغرب الاقصى واردت ان اطلع ايضا على نص جواب السلطان عن هذا الكتاب ، فطلبتهما في مظانهما ، والتمستهما في كتب التاريخ ، فلم اظفر بنص الكتاب ولا بنص الجواب ولكني حصلت على ما اذكر لك خلاصته فيما يلي :

في سنة ١٢٢٦ هـ ارسل المولى سليمان صاحب المغرب الاقصى نجله المولى ابراهيم بجوابه الى الامير عبد الله بن سعود صاحب الحجاز ونجد ، وكان في معية المولى ابراهيم كثير من العلماء والاعيان ، ففاجؤوا البيت الحرام ، وقضوا مناسكهم و « زاروا » الروضة النبوية المشرفة ، اجتمعوا بالامير بن سعود وقابلهم بالحفاوة والبشر ، ووجدوه كواحد من الناس لا يتميز بزي ولا مركوب ولا ملبوس . وتباحثوا معه فقال لهم : ان الناس يزعمون اننا مخالفون للسنة المحمدية ، فهل رأيتمونا خالفنا السنة في شيء فقال له القاضي ابراهيم الزرقاني وهو من اكبر علماء المغرب الاقصى في ذلك العهد : بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي فقال ابن سعود : بل نقول كما قال الامام مالك رحمه الله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة فهل في هذا مخالفة ؟ قالوا : لا . ونحن ايضا نقول بمثل هذا . ثم قال القاضي : وبلغنا انكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره . فلما سمع بن سعود ذكر النبي رفع صوته بالصلاة عليه وقال انا نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة فوق حياة الشهداء . وقال القاضي : وبلغنا انكم تمنعون زيارته (ص) وزيارة سائر الاموات . وهي ثابتة في الصحاح . فقال الامير ابن سعود معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم انتم من الزيارة ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالربوبية ، وسبيل الزائر ان يعتبر بحال الموتى ، وان يدعو لهم ويستغفر لهم ، ويسال الله تعالى المنفرد بالمنع والاعطاء بحياة ذلك البيت ان كان ممن يليق ان يستشفع به . هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه . ثم ان العلماء المغاربة لم يشاهدوا من الامير بن سعود ادنى شيء يخالف الشريعة ، وانما شاهدوا منه وانتباهه غاية الاستقامة ، واقبالهم بشعائر الاسلام .. ونهي عن المنكر الحرام ، وتطهير الحرمين الشريفين مما كان يرتكب فيهما من من القاذورات والاثام جهارا من غير نكير ! . .

ولما رجع الوفد العلمي الى المغرب الاقصى وقصوا على المولى سليمان ما شاهدوه في الحجاز من الامن الشامل والعمل بالقرءان الكريم والسنة النبوية في العبادات والمعاملات اثر ذلك فيه احسن تاثير حتى انه الف كتابا (كما قال صاحب الاستقصاء) في الرد على « متصوفة وقته » . حث فيه على التمسك بالسنة وعلى نزك البدعة ، وشنع بالمبتدعين من « متفقرة زمانه » وتكلم عن الزيارة وعن دعاء غير الله بما يوافق الوهابيين او حنابلة نجد في رايهم ، ولا يخالفهم . واورد صاحب الاستقصاء رأي حنابلة نجد في الزيارة ودعاء غير الله ثم اردفه بتفصيل من عنده في « زيارة الانبياء » ثم قال ما نصه : « واما الاولياء فالقول بمنع زيارتهم مع بيان علتها . . هو قول وجيه ، تقتضيه قواعد الشريعة المطهرة وهذا القول هو الذي رآه الشيخ الفقيه الصوفي ابو العباس احمد التجاني رحمه الله حتى نهى اصحابه عن زيارة الاولياء (راجع الاستقصاء ج ٤ ص ١٤٦) ...

ومقتضى عبارة الاستقصاء ان الشيخ رحمه الله لم يقل بمنع زيارة الاولياء من تلقاء نفسه وانما كان في هذه المسالة تابعا للوهابيين

وفي كتب الطريقة التجانية كثير من الحوادث والوقائع التي نهى فيها الشيخ اصحابه عن زيارة الاولياء . ومع انهم قد نفوا ان يكون الشيخ قد منعهم من الزيارة انانية واستأثارا ، فقد جاء بتاويل كثير ، ولكنه لا يوافق المنطق ولا التاريخ ، وزعم زاعم ان الشيخ التجاني انما منع من زيارة الاولياء خوفا على اتباعه ومريديه من معاصرة ومنافسة القوي الشيخ الفقيه الصوفي ابي عبد الله محمد العربي الدرقاوي الذي كان يجذب اليه قلوب الذين يستمعون الى وعظه وارشاده ! وانا اعتقد ان هذا الزعم غير صحيح فالشيخ التجاني ليس في حاجة الى ان يمسك عليه اتباعه ومريديه بمثل هذا الامر فاحبابه لا يؤثر فيهم لا الشيخ الدرقاوي ولا غير الدرقاوي ، على ان اتباع كل شيخ طريقة لا يزورون من عند انفسهم اي شيخ طريقة اخرى من غير ان يحثهم على ذلك احد من الناس .

ولقد كانت المنافسة بين التجاني وبين الدرقاوي منافسة شديدة حقا على انهما كانا قوة وعنفا ، وجرت بينهما ذات يوم في مسجد جامع مناقشة حادة وخصام طويل ربما نشرناه مرة اخرى . ولكن ذلك كله لا يحمل التجاني على التملق والمداهنة والسخافات . وهو الذي عرف منه الناس الهمة التي لا تتحلى الا بمعالي الامور .

* * *

ان الخصومة التي كانت بين هذين الشيخين كانت في صميمها خصومة سياسية محضة ، وان كانت تلبس لباس الدين . وذلك ان المولى سليمان كان يرى في الطريقة الدرقاوية والطريقة الطيبية وغيرها احزابا سياسية وتشكيلات مناهضة تعمل لاسقاط وسحق سلطانه ولقلب نظام الحكم في المغرب الاقصى ، وبعبارة اخرى ان هذه الطرق الصوفية في نظره كانت تعمل لفائدة « الادارسة » الذين لا يزالون يتطلعون الى عرش المغرب الاقصى ، ويتوثبون عليه من حين الى حين ، والمولى سليمان محق في رأيه هذا ، بالشيخ الدرقاوي بمثلا كان تآمر مع اهل فاس على خلع المولى سليمان وعلى مبايعة

الزاوية فنطار - البليدة
مسجد
مالك بن أنس

المولى ابراهيم ابن بزيد ، وسجن الشيخ المزغراوي من اجل ذلك ؛ وقد جاء عياله وذراريه الي السلطان يتضرعون اليه ان يطلق سراح « كاسبهم » فرفض شفاعتهم ولم يقبلها ، وتركه ممحنا مسجونا وبات كذلك حتى توفي السلطان الي رحمة الله وكم من فتن وثورات قامت في المغرب الاقصى على المولي سليمان وعلى غيره من السلاطين ، وكانت كلها من المشوشين الى العرش والطامعين في الملك من اشياخ الطرق وارباب الزوايا .

واقد جرب المولى سليمان ان يكون هو نفسه شيخ طريقة صوفية (او رئيس حزب سياسي) ليكثر من حوله الاشياخ والانصار ،ولكن ما يتطلبه العرش من ابهة وجلال ، ومن رسميات وتقاليد حالت بينه وبين ما يريد . وليس من السهل ان يؤسس المولي سليمان « طريقة صوفية » يخضد بها شوكة الطرق الصوفية الاخرى ، فانه ان نصب على راسها قريبا من اقاربه الشرفاء خاف من هذا القريب نفسه ان يثور عليه ، وان يطلب الملك لنفسه متى كثر حوله الاتباع والانصار والمريدون . فلما انتقل الشيخ التجاني الى فاس و جد فيه السلطان ضالته المنشودة فالشيخ صوفي مشهور ، وله اتباع غير قليلين ، وهو جزائري الاصل والفصل لا يخاف السلطان منه ان يدعي الملك لنفسه وهو في ديار الغربة . فاقبله السلطان و آواه واكرم نزله ومثواه . واعطاه دارا من دوره كان قد انفق في بنائها وتاثيثها مالا كثيرا . وكانت هذه الخطوة التي حظيها الشيخ عند السلطان سببا في انتشار الطريقة التجانية بين رجال مدرله والمقربين الي السلطان من موظفين وغير موظفين وتتابع الناس يعتنقون هذه الطريقة « والناس على دين ملوكهم » كما قيل حتى كادت تصبح هي « الطريقة الرسمية » لدولة المغرب الاقصى ونحن لا نعلم يقينا ان المولى سليمان قد فرض على الناس فرضا ان يكونوا (تجانيين) ولكننا نعلم انه قد انجذب بالشيخ التجاني (واعتقده) ونعلم انه قد اظهر هذا الانجذاب وهذا الاعتقاد . على اننا نعلم ايضا انه كان ساخطا على كثير من اشياخ الطرق الاخري . ويحدثك التاريخ ان الرجل المغربي قد يكون ذا مال كثير ، وقد يبيت بين اهله ناعم البال آمنا في سربه ، وما هي الا ان يشتد الظلام حتى ينقض عليه زبانية السلطان او زبانية عامل من عمال السلطان فلم يدعوا له مالا الا نهبوه ولا جارية الا سحبوها ولا عيالا الا شردوه ولكنه اذا كان (تجانيا) فهو (محرر) لا يمسونه بسوء ، ولا يمالونه بادنى اذى . ومن هنا شاع بين العامة ان من اعتنق الطريقة التيجانية ضمنت له الثروة والغنى ! . واقد تبارى في مدح الشيخ التجاني وفي اظهار كراماته وفضائله ومعجزاته كل اولئك الذين يبتغون عند السلطان (القرب والزلفى) وكان يرتاح لذلك ويقبله قبولا حسنا .

غير ان الشيخ التجاني رحمه الله بعد ان غادر بلاده (الجزائر) مكرها ، وبعد ان ترك فيها اشياعه وانصاره ، وبعد ان ضاعت فيها آماله ومطامحه وامانيه لم يعد يعنيه ان يجتمع عليه الناس او ان ينفض من حوله (الاحباب) والمريدون فكان رضي الله عنه لا يبالي بهذه الحظوة التي حظيها عند السلطان ، كانه كان يعلم ان (وراء الاكمة ما وراءها) .

واقد قرات ان هذا الشيخ نهى اتباعه عن زيارة الاولياء ونهاهم عن (التمشيخ) قائلا : ان دعوى المشيخة من سوء الابتداع . وترك هو المشيخة فعلا واغلق بابه دون احبابه ومريديه فيما رواه عنه بعض التجانيين فظننت انه قد عرف من السلطان انه انما يتخذه آلة لمقاومة الطرق الاخرى ، وهذا مالا يريده الشيخ لنفسه ، ولا يرضاه لها فترك المشيخة — لذلك — وكان من امره ما كان . ولكنني اليوم اصبحت اعتقد ان الشيخ انما ترك المشيخة ونهى عن الزيارة اقتداء بابن عبد الوهاب ، ورجوعا منه الى السنة والكتاب

كان الشيخ التجاني معاصرا للامير عبد الله ابن سعود الذي استولى على الحجاز ، وطرد منه الاتراك العثمانيين . وبلا شك ان الشيخ قد بلغه وقد سمع ان الامير بن سعود هذا قد احيى السنة النبوية وعمل بالقرءان وانه طهر الحرمين الشريفين مما كان يرتكب فيهما من الموبقات والآثام في النهار المبصر دون نهي ولا نكير فسر بهذه الاخبار ؛ وكان الشيخ نفسه قد حج الي بيت الله الحرام فلا يبعد ان يكون قد لقي في حجه بعض علماء نجد الحنابلة فاخذ عنهم آراءهم في (الزيارة) و (المشيخة) والشيخ حينما كان يطلب (علم القوم) لم يكن يطلبه لذاته . بل كان يطلب فيه الخير والهدى فلما وجد ان الخير كله في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وان الهدى هدى الله . ترك المشيخة وعلم القوم وتمسك بالسنة والكتاب .

وكان الشيخ قد ارسل بعض اصحابه الى الحجاز في مهمة لا نعلمها ، وهي ما تزال الى هذا اليوم سرا مكتوما ، لان هذا الرسول قد افضى الى محله ومات في طريقه ، ولم يرجع الى شيخه . ولكن من يدري ؟ فلعل هذه المهمة كانت كتابا ارسل به الشيخ الى الامير بن سعود ليتفق معه على نشر الكتاب والسنة ، وعلى الدعوة اليهما في هذه الديار .

وبين الامير بن سعود وبين الشيخ التجاني رابطة قوية اخرى تربط ما بينهما فكلاهما ناقم ثائر على الاتراك اما ابن سعود فامره مع الترك معلوم . واما التجاني فقد كان ناقما على اتراك الجزائر ، وحاول غير مرة ان يثور عليهم وان يردعهم بحد السنان . وعزم ذات يوم على الثورة واعد لها عدتها وسعى لها سعيها ، والتقى في جمع من انصاره حوالي مدينة معسكر مع جنود الاتراك ، ولكن ثورته هذه كانت فاشلة ، وانسحب من الميدان قبل الشروع في القتال ، فكان ذلك سببا في حقن كثير من دماء المسلمين ، ثم اضطرته الاتراك الى مغادرة البلاد . ولكن ابنه سيدي محمد دخل الجزائر بعد وفاة ابيه خائفا يترقب ، وجمع الجموع واعلن الثورة على الترك حوالي معسكر ايضا فجردوا حملة عليه عسكرية هزمته وقتلته ومثلت به تمثيلا شنيعا ، ومن هذا تعرف ان الشيخ رحمه الله كان ناقما على الاتراك النقمة كلها ، وهذا مما يجعله يعطف على ابن سعود ويرتضي الدعوة الوهابية كثورة على الظلم والفساد وكدعوة الى الدين الخالص القيم الحنيف .

الزاوية فنطار - البليدة
مسجد
مالك بن أنس

بعد عشرين سنة في التعليم . نسأل :

هل عندنا رخصة ؟!

عشرون سنة مضت ونحن ننشر العلم بالجامع الاخضر وفي مسجد سيدي قموش ومسجد سيدي عبد المومن والطلبة ياتون من جميع نواحي القطر يتزودون من علوم الدين واللسان ويستعين المحاويج منهم على ذلك بشيء طفيف من الاعانة بالجهر مما يعطيه بعض الناس المحسنين من الزكاة

ابتدأت القراءة بقسنطينة بدراسة الشفاء للقاضي عياض بالجامع الكبير حتى بدا لمفتي قسنطينة الشيخ ابن الموهوب ان يمنعنا فمنعنا ...! فطلبنا الاذن من الحكومة بالتدريس في الجامع الاخضر فاذنت لنا وكان هذا الاذن على يد م اريب الحاجب العام للامور الوطنية بدار المالة اذ ذاك

مضت عشرون سنة ونحن نعلم في الجامع الاخضر الذي اسسه المرحوم حسين باي للصلاة والتسبيح والتعليم . وكانه خشي ان يهمل فيه التعليم ويحرم المعلمون من حقهم في ريع حبسه — فسجل ارادته بالتنصيص عليه فكتب بالحروف الكبيرة البارزة على واجهة بيت الصلاة ما نصه :

(امر بتاسيس هذا المسجد العظيم وتشييد بنائه للصلاة والتسبيح والتعليم ،ذو القدر العلي والتدبير الكامل وحسن الرأى اميرنا وسيدنا حسن باى ادام الله ايامه وكان تمام بنائه اواخر شهر شعبان سنة ست وخمسين ومائة والف) .

مضت عشرون سنة والناس يشكرون للحكومة توظيفها مدرسا يقضي سحابة نهاره وشطرا من ليله في خدمة العلم الديني واللساني ونشره ظنا منهم انني اتقاضي مرتبا كسائر المتوظفين واما لم ارزإ الحكومة فلسا واحدا والفضل لله وما كنت الا مدرسا متطوعا مكتفيا بالاذن لي في التعليم ذاكرا ذلك للناس عن الحكومة في المناسبات بالجميل

مضت عشرون سنة والسواح الاجانب ياتون للجامع الاخضر يشهدون حلقات العلم ووفرة الطلاب فيعدون ذلك من عناية الحكومة بالمساجد الاسلامية وتركها حرية التعليم للمسلمين

وبعد هذه العشرين سنة في ذلك كله دعيت مساء الخميس الماضي الى دار عامل العمالة ليعرفني م الحاجب العام بكتاب جاءه من الولاية العامة سالوه فيه عن عبدالحميد ابن باديس الذي يقرئ متطوعا بالجامع الاخضر بدون رخصة والقانون يمنع من التعليم بدون رخصة فاجبنا باننا ما اقرأنا الا برخصة من الحكومة بواسطة م اريب منذ عشرين سنة وانا نعجبنا من هذا السؤال بعد عشرين سنة فقبل م الكاتب العام الجواب منا على ان يجيب به الولاية العامة وينتظر ما يكون منها .

هذا ما نذكره اليوم حكاية للتاريخ قيامنا بالتعليم واثباتا لما سئلنا عنه وما اجبنا به مكتفين به حتى نرى ما ينتهي اليه الامر في هذه المسالة التي ليست مسالة عبد الحميد بن باديس ولكنها مسالة التعليم الديني واللساني للمسلمين . ومسالة مائة طالب اويزيدون جاءوا من العمالات الثلاث لقسنطينة هذه الايام . ومسالة نحو الالفين من سكان قسنطينة ونواحيها يمتلىء بهم الجامع الاخضر كل ليلة في مجالس التذكير

ومن واجب الحق علي ان اذكرهنا ما شاهدته من م تروسيل الكاتب العام من ادب ولطف وحرص على الا يتعرض لدروسنا بسوء فانا اشكره بلسان العلم وطلابه شكر من يقدرون اقدار الرجال ولا يخافون الا الله .

عبد الحميد بن باديس

وبعد فهذه افكار وآراء ما اريد ان افرضها فرضا على القارىء الكريم ، ولكني رايتها صالحة للعليل منع الشيخ النجاني لاحبابه من زيارة الاولياء وللعليل تركه للشيخة وقوله عنها انها من سوء الابتداع ، ولم تقم عندي الشواهد والبينات القاطعة حتى اجزم بان الشيخ النجاني كان « وهابيا » بالمعنى الكلمة ، غير اني لا اتردد ان اقول — بكل جزم ويقين — : ان الشيخ النجاني هذا كان بعيد الدعوة الوهابية ويوافق عليها ، وانه كان ينظر اليها بعين الغبطة والرضى .

وهران محمد السعيد الزاهري

البقية من الصفحة الثالثة

فلا باس ان يقولوا في رجل نحسب انه صالح ونرجو ان يكون من اهل الولاية الكبرى ولا يجزمون الا اذا اخبر الله او رسوله عن احد انه صديق او من اهل الجنة فانهم يجزمون بذلك ويومنون . هذه هي عقيدة اهل السنة وليس الرقص والجهل والحفلات الكفرية بسبيل الى الولاية البتة والمصلحون يحبون اولياء الله الكاملين ويدعون الناس الى اتباعهم وقد كان الامام مالك واصحابه كالشافعي واحمد ويحيى وعبد الله بن يوسف وغيرهم من اهل الولاية الكبرى ولا يمكن لولي من اهل القرون الاخيرة ان يبلغ مبلغهم فهم اولى بالاتباع لانهم من اهل القرون المفضلة والمصلحون يتبعونهم فهل يتبعهم اضدادهم فهذا الميزان بين ايديكم ايها المنصفون فزنوا واحكموا ولا تتبعوا الهوى وتشطوا في الحكم .

محمد ذقي الدين الهلالي

وهـــابي

« ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون » قال الشيخ السالمي الكبير رئيس لجنة العمل الدائمة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

٢

ولهذا قلت وما زلت وان ازال اقول ان المالكي الذي يطعن في الوهابيين يطعن في مالك ومذهبه من حيث يشعر او لا يشعر او لانه جاهل او متجاهل وقد تجسر كثيرا صاحب الشفاء من قول بكراهة من يقول زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم واحتال كثيرا على ايجاد تاويل لذلك كما يعلم الواقف عليه ولم يجد الا قوله اعني قول صاحب الشفاء والذي عندي ان منعه وكراهة مالك له للاضافة الى القبر وانه لو قال زرنا النبي لم يكره لقوله (ص) اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والشتبه بفعل اولئك انتهى .

قلت لقد اصاب وهو من يعرف مناقب مالك ومذهبه المبني على سد الذرائع وعلم ايضا انه لم يرد في الصحيحين ما يعتمد عليه من الاحاديث في كيفية زيارة قبره صلى الله عليه وسلم مما يعتقده العامة ويعملون به من امساك شباك النبي والاستغاثة به والطلب منه امورا من مصالحهم لم تشرع ولم تسن ولذا قال ايضا اعني صاحب الشفاء وقال مالك في المبسوط « لا اري ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو ولكن يسلم ويمضي » قال شارح هذا الموضع شهاب الدين الخفاجي : ظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف طلبا ا. قلت فليتامل هذا الغلاة الطوافون بقبور الاموات الطالبين ومناداتهم والتوسل بهم . وهذا عين ما يقول الوهابيون وابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب رحمهم الله فيصبون على الوهابيين سوط الانتقاد والتكفير وهو عين مذهب مالك وقوله وعمله حتى ان السبكيين انتقموا من ابن تيمية رحمه الله لماذا هو حنبلي ويوافق مالك في غالب اقتدائه ويخالف باقي الائمة واثابت الصحيح في زيارته صلى الله عليه وسلم بعد مماته ما نقل ابن عمر رضي الله عنهما فانه كما قال مولاه نافع انه رآه اكثر من مائة مرة ياتي الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف اه .

ثم ان الغلاة يوذوننا ويوذون الاخوان الحنابلة باننا واياهم قد حططنا من قدر النبي ومن قدر الولي اذا لم نعمل بما لم يثبت عن الائمة العظام كمالك الذي ولد في اواخر القرن الاول وعاش في المدينة نحو قرن اي تسعين سنة ولحق عشرات الالوف من التابعين والائمة الصالحين حتى انه او اراد ان يكتم عنا او يبخل بشيء لا يقبل منه مثل هذه الزيارة ومثل القراءة على الجنائز والصياح وراءها بالقاشيد بالتوقيع تلك البدع المضادة لبرودة الوجل من الموت وسكونه الذي فضت به الطبيعة اذ الانشاد او التلاوة انما يكون بباعث الحركة والحركة بالحرارة والحرارة ينشأ عنها الطرب والموت خلاف ذلك كله يا اولي الابصار والاعتبار وها كم مافي الاستقصاء :

وصول كتاب صاحب الحجاز

عبد الله بن السعود الوهابي الى فاس وما قاله العلماء في ذلك

وفي هذه المدة ايضا وصل كتاب عبد الله ابن السعود الوهابي الناغ بجزيرة العرب المتغلب على الحرمين الشريفين المظهر لمذهبه بها الى فاس المحروسة واصل هذه الطائفة الوهابية كما عند صاحب التعريبات الشافية وغيره ان فقيرا من عرب نجد يقال له سليمان راى في المنام كان شعلة من نار خرجت من بدنه وانتشرت وصارت تاكل ما تاها فقص رؤياه على بعض المعبرين فقسرها له بان احد اولاده يجدد دولة قوية فتحققت الرؤيا في ابن ابنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان فالمؤسس للمذهب هو محمد بن عبد الوهاب ولكن نسب الى عبد الوهاب فلما كبر محمد احترمه اهل بلاده ثم اخبر بانه قرشي ومن اهل بيت النبي (صلعم) والف لهم قواعد وعقائد وهي عبادة الله واحد قديم قادر حق رحمان يثيب المطيع ويعاقب العاصي وان القرآن قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة وان محمدا رسول الله وحبيبه ولكن لا ينبغي وصفه باوصاف المدح والتعظيم بما لا يليق ذلك الا بالقديم وان الله تعالى حيث لم يرض بهذا الاشتراك سخره ليهدي الناس الى سواء الطريق فمن امتثل فيها ونعمت وان ابى فهو جديد بالقتل . فهذه اصول مذهبه وكان قد بثه اولا سرا فقلده الناس ثم سافر الى الشام لهذا الامر فلم يجد به مراده رجع الى بلاد العرب بعد غيبته عنها ثلاث سنين فاتصل شيخ من اشياخ عرب نجد يقال له عبد الله بن سعود وكان شهما كريم النفس فقلده وقام بنصرة مذهبه وقاتل عليه حتى اظهره واقتسم الرياسة هو ومحمد بن عبد الوهاب فابن عبد الوهاب صاحب الاجتهاد في مسائل الدين وابن سعود امير الوهابية وصاحب حربهم وما زال امر هؤلاء الوهابية يظهر شيئا فشيئا الى ان تغلبوا على الحجاز والحرمين الشريفين وسائر بلاد العرب ثم قال صاحب التعريبات الشافية ان مساجد الوهابية خالية من المنارات والقباب وغيرها من البدع المستحسنة فلا يعظمون الائمة والاولياء ويدفنون موتاهم من غير مشهد واحتفال ياكلون خبز الشعير والتمر والجراد والسمك ولا ياكلون اللحم والارز الا نادرا ولا يشربون القهوة وملابسهم ومساكنهم غير مزينة اه . ولما استولى ابن السعود على الحرمين الشريفين بعث كتبه الى الآفاق كالعراق والشام ومصر والمغرب يدعو الناس الى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته ولما وصل كتابه الى تونس بعث مفتيها نسخة منه الى علماء فاس فتصدى للجواب عنه الشيخ العلامة الاديب ابو الفيض حمدون بن الحاج قال صاحب الجيش كان تصدى الشيخ ابى الفيض لذلك الجواب بامر السلطان وعلى لسانه وذهب بجوابه ولده المولى ابراهيم بن سليمان حين سفر الى الحج . وفي هذه السنة اعني سنة ست وعشرين ومائتين والف وجه السلطان المولي سليمان رحمه الله ولده الامتاذ الافضل المولي ابن اسحاق ابراهيم ابن سليمان الى الحجاز لاداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديعة من الاحتفال وابراز الاخبية لظاهر البلد وقرع الطبول واظهار الزينة وكانت الملوك تعتني بذلك وتختار له اصناف الناس من العلماء والاعيان والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرها فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب واعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي ابي الفضل العباس بن كيران والفقيه الشريف

البركة المولى الامين بن جعفر الحسني المرتبي والفقيه العلامة الشهير ابي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا الى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين بالحجاز يومئذ ومضايقتهم للحجاج الآفاق في امور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم وحكى صاحب الجيش (كتاب)

ان المولى ابراهيم ذهب الى الحج واستصحب معه جواب السلطان فكان سببا لتسهيل الامر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الامن والامان والبر والاحسان قال حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة انهم ما راوا من ذلك السلطان يعني ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشرع وانما شاهدوا منه ومن اتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر الحرام وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل فيها جهارا من غير نكير وذكروا ان حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا ركوب ولا لباس وانه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم اظهر له التعظيم الواجب لاهل البيت الكريم وجلس معه كجلوس احد اصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي ابو اسحاق ابراهيم الزداغي فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم ان الناس يزعمون اننا مخالفون للسنة المحمدية في شيء رايتمونا خالفنا من السنة واي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا . فقال له القاضي بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوى فقال لهم معاذ الله انا نقول كما قال مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة فهل في هذا من مخالفة قالوا لا وبمثل هذا نقول نحن ايضا ثم قال له القاضي بلغنا عنكم انكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال معاذ الله انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذا غيره من الانبياء حياة فوق حياة الشهداء ثم قال له القاضي وبلغنا انكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الامهات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها . فقال معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم انتم لما عرفنا انكم تعرفون كيفيتها وادابها وانما نمنع من العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ويطلبون من الامهات ان تقضي لهم اغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال المرتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى ويسال الله تعالى المتفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به . هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه . ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة فاي مخالفة للسنة في هذا القدر اه . ثم قال صاحب الاستقصا قلت مسئلة زيارة قبور الانبياء والاولياء مشهورة في كتب الائمة وهي من القرب المرغب فيها عند الجمهور ومعها قوم من الحنابلة وشدد تقي الدين ابن تيمية منهم فيها محتجا بقوله عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا الى المساجد الثلاثة مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى وهو عند الجمهور مأول بان المعنى لا تشد الرحال لصلاة في مسجد الا الى ثلاثة مساجد اه وقد بسط القول في هذا صاحب المواهب اللدنية والقول الفصل ان التبرك باثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضي الله عنهم وزيارة مشاهدهم من الامر المعروف عند امة محمد (صلعم) الجمع عليه خلفا وسلفا لا يسع انكاره غير ان للزيارة آدابا تجب المحافظة عليها وشروطا لا بد من مراعاتها والوقوف لديها ثم القول بمنعها مطلقا سدا للذريعة في حق العامة اذ هم اكثر الناس وغرلا في ذلك فيه نظر اما الانبياء فلا ينبغي لعاقل ان يحرم نفسه من الوقوف على مشاهدهم والتبرك بقربهم والاحتماء بحماهم ولا ان يقول بذلك لمزيد ارتفاع درجتهم عند الله تعالى ولندور اتساق زيارتهم لاكثر الغرباء . واما الاولياء فالقول بمنع زيارتهم سدا للذريعة مع بيان العلة واشهارها بين الناس حتى لا يلتبس عليهم المقصود قول وجيه لا تاباه قواعد الشريعة بل تقتضيه والله اعلم

وهذا القول هو الذي قال به الشيخ الفقيه العدوي ابو العباس احمد النجائي رحمه الله تعالى حتى نهى اصحابه عن زيارة الاولياء وافول ان السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئا من ذلك ولاجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها على حال متفقرة الوقت وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة وبين فيها بعض آداب زيارة الاولياء وحذر من تغالي العوام في ذلك واغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين جزاه الله خيرا ومن كلامه فيها ما نصه تنبيه من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة سبعة رجال فهو كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم الى ان قال فعلينا ان نقتد بسبعة رجال ولا نتخذهم آلهة ليلا يئول الحال فيهم الى ما آل اليه في يغوث ويعوق ونسرا الخ كلامه وصدق رحمه فكم من ضلالة وكفر اصلها الغلو في التعظيم الى ان قال — صاحب الاستقصا — وحكى ابن اسحاق في السيرة ان اصل حدوث عبادة الحجر في بلاد العرب ان آل اسماعيل عليه السلام لما كثروا حول الحرم وضاقت بهم فجاج مكة تحولوا في النواحي اخذوا معهم احجارا من الحرم تبركا بها فكان احدهم يضع الحجر في ببته فيطوف ويتمسح به ويعظمه ثم توالت السنون وخلفت الخلوف فعبدوا تلك الاحجار ثم عبدوا غيرها وذهبت منهم ديانة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الا يسيرا جدا بقي فيهم الى ان صبحهم الاسلام . هذا معنى ما ذكره ابن اسحاق وقد تكلم الشاطبي وغيره من العلماء فيما يقرب من هذا وذكروا ان الغلو في التعظيم اصل من اصول الضلال ولو لم يكن في ذلك الا قضية الشيعة لكان كافيا اه . ما اخذناه من تاريخ الاستقصا .

الزواوي

المطبعة الجزائرية الاسلامية — بقسنطينة

Constantine — Imprimerie ALGERIENNE Musulmane Tél. 5-15

Le gérant Bouchemal Ahmed